دور العمل الخيري في تحقيق التنمية الاقتصادية

- رؤية تنزيلية بمقاربات استشرافية -

د. عبد الكريم بناني

عضو في بنية المعاملات المالية والمجتمع لمختبر الدراسات والأبحاث في المالية الإسلامية والتنمية؛ جامعة سيدي محمد بن عبد الله - كلية الشريعة بفاس - المملكة المغربية

الحلقة (٢)

المحور الثالث : دور العمل الخيري في تنمية البنية التحتية والقطاعات الأساسية

نشأت العديد من المشاريع الخيرية التي كانت مهمّتها الأساسية خدمة المصالح العامة سواء اجتماعيا كالمصحات والمستشفيات ومراكز العلاج عموما أو اقتصاديا كالعقارات والقناطر والمحلات التجارية...

أولا : دور العمل الخيري في تنمية البنية التحتية

استطاع العمل الخيري أن يسهم في تنمية البنيات التحتية وأن يستثمر في مشاريع هامة تعود بالنفع الجزيل على الناس، فقد اهتمّ العمل الخيري في تاريخ الحضارة الإسلامية ببناء المدارس الوقفية التي اعتنت بجانب التوعية الأساسية للطلبة والمتعلمين، وبقيت معالم حضارية مهمة تسهم في الرواج الاقتصادي من خلال الزيارات التي تعرفها، نذكر منها بمدينة فاس: مدرسة الصابرين التي أنشأها يوسف بن تاشفين بعد دخوله مدينة فاس حوالي ٤٦٢ هـ، مدرسة الحلفاويين التي أنشأها يعقوب بن عبد الحق المريني سنة ٦٧٠ هـ، مدرسة دار المخزن التي أنشأها السلطان السعيد بفضل الله عثمان بن عبد الحق المريني سنة ٦٧٠ هـ، مدرسة الصهريج التي أسّسها علي بن سعيد المريني سنة ٧٢١ هـ، مدرسة السبعين سنة ٧٢١ هـ، مدرسة الوادي سنة ٧٢١ هـ، مدرسة المصباحية سنة ٧٤٥ هـ، المدرسة البوعنانية أو المتوكلية سنة ٧٥٦ هـ، مدرسة الشراطين سنة ١٠٨١ هـ[1]، وفي مكة المكرمة أوقفت الكثير من المدارس، منها مدرسة الأرسوفي نسبة إلى عبد الله الأرسوفي، التي أنشئت عام ٥٧١ هـ، ومدرسة الزنجبيلي ٥٨٣ هـ، أنشأها الأمير فخر

[1] انظر: دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب، السعيد بوركبة. 62 - 61 - 1/60.طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب،1417هـ 1996،

الدين الزنجبيلي[1]، وأوقف المنصور غياث الدين المدرسة الغياثية عام ٨١٣ هـ، وجعل عليها أموالاً كثيرة، كما فعل السلطان قايتباي بمدرسته الكبيرة التي تأسست عام ٨٨٣ هـ، وضمت الكثير من الأموال الوقفية خدمة لطلبتها وروادها، وفي عام ٩٢٧ هـ أوقف السلطان سليمان القانوني أموالا طائلة على المدرسة لتدريس المذاهب الأربعة[2].

كما اعتنى العمل الخيري "بإنشاء البيمارستانات[3] الخاصّة بمعالجة الأمراض النفسية والعقلية والعصبية. وخصصت لها الأوقاف التي تجعلها تقوم بمهامها على شكل أفضل"[4].

واهتم بالمصحات التي تعالج الأمراض العضوية، ورصدت لها أوقاف كثيرة، تجعلها تقوم بواجبها أحسن قيام مع تسيير الأطر التي تعنى بالعلاج المصابين أو بالتخفيف عنهم مما يحسون به من آلام.

كما أنشئت المراكز التي تعتني بذوي الاحتياجات الخاصة من الأموال التي تجمع بالتطوع، أو بمال الأوقاف، حيث يتم تزويد هذه المراكز "بكافة ما يلزمها من أجهزة، ومستلزمات طبية، وكوادر بشرية مؤهلة للتعامل معهم لتمكينهم من التكيف مع إعاقتهم، والعمل على رفع سويتهم من خلال تعليمهم مهارات تتسق مع إعاقتهم، يتمكنون بها من إعالة أنفسهم قدر المستطاع تمهيدا لانخراطهم في المجتمع"[5]، كما تساهم المشاريع الخيرية والإنشائية والتنموية ومشاريع إعادة الإعمار التي تنفِّذها هيئة الهلال الأحمر في بعض البلاد الإسلامية بقوة في تأهيل البنية التحتية وإعمار المرافق الحيوية وإزالة آثار الخراب والدمار الذي تخلفه الكوارث والأزمات، خاصة في مجالات الصحة والتعليم والإسكان والمرافق العامة المرتبطة مباشرة بقطاعات واسعة من الجمهور.

---

[1] زنجبيلة من قرى دمشق.

[2] الدور الاجتماعي للوقف، عبد المالك السيد، ص 240. البنك الإسلامي للتنمية جدة.

[3] يرجع إنشاء البيمارستانات في المغرب إلى عهد الدولة الموحدية في غضون القرن 6 الهجري، وقد استمرت هذه البيمارستانات حتى آخر الدولة المرينية حيث كان العهد المريني زاخرا بهذه المصحاّت وكان ملوكه يتنافسون في كل أنواع البرّ والإحسان. مجلة الإحياء - ص 46 - مرجع سابق.

[4] ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي - السعيد بوركبة. بغداد 1983. ص 203.مرجع سابق.

[5] العمل الخيري في ضوء القواعد المقاصدية، تمام العساف ومحمد أبو يحي، ص 95، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية،المجلد الثامن، العدد الثالث، 1434هـ/2012م.

إضافة إلى تدخل العمل الخيري في بناء مراكز ووحدات لغسيل الكلي ومراكز لسرطان الأطفال[1]، وصيانة وبناء بعض المساكن للمحتاجين في إطار عمل خيري عمراني منظم، كمشروع قرية محمد بن راشد آل مكتوم والذي أشرفت عليه مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للأعمال الخيرية والإنسانية[2].

فهذه المنشآت والمراكز المتنوعة سواء الوقفية أو الخيرية عموما، والتي تعتني بالجانب الاجتماعي، أسهمت بلا شك في تعزيز البنية المادية للمدن، وصارت تساهم في التنمية البشرية وتخلق رواجا اقتصاديا، ذلك أن هذه المساهمة تمنح الحكومات فرصة إلى تخفيض الإنفاق الحكومي في مجال البنيات التحتية التي يتدخل فيها العمل الخيري، مما يؤدي إلى توسيع مستوى الخدمات التي تقدمها للأفراد، الأمر الذي يؤثر على الاقتصاد بشكل كبير.

ثانيا : دور العمل الخيري في تنمية القطاعات الأساسية : الفلاحة، الصناعة والتجارة

تعد القطاعات الثلاثة : الفلاحي، الصناعي والتجاري، الهيكل الأساسي للقطاعات الإنتاجية بأي بلد، لذلك فالاهتمام بها، يسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية. وقد توجهت أنظار العمل الخيري في البلاد الإسلامية إلى خدمة هذه القطاعات بشكل كبير، خاصة صدقات الوقف والأحباس التي نجدها حاضرة بقوة في هذه المجالات، تتبعها باقي الصدقات التطوعية التي تبين لها الأدوار المهمة لهذه القطاعات سواء في خلق فرص العمل أو في تطوير مجالات الإنتاج ورفع وتيرة التنافسية.

أ – دور العمل الخيري في تنمية القطاع الفلاحي : ساهم العمل الخيري في مجال تنمية القطاع الفلاحي من خلال الأوقاف التي أنشئت بدءا بتحبيس الأراضي الفلاحية للاستفادة منها، حيث تعد هذه الأراضي الوقفية سواء الخاضعة للوقف العام أو الوقف الخاص (الوقف على العقب)، بمثابة ثروة اقتصادية، حيث يشكل رأسمالا عقاريا يسهم في الإنتاج الفلاحي للبلد، فمثلا في المغرب "تسهم هذه الأراضي في الإنتاج الفلاحي وخاصّة من مادة الزيتون والتمر، بحيث تعتبر الأوقاف من أكبر منتجي هاتين المادتين"[3].

كما برز دور العمل الخيري جليًّا في هذا المجال، من خلال بعض الصدقات الوقفية التي اعتنت بتسليف الفلاحين الصغار للبذور قصد تنمية أراضيهم الفلاحية، للعمل على إرجاعها متى تأتّى لهم ذلك[4]، وهذا

---

[1] دور القطاع الخاص في العمل التطوعي. ص8. إعداد: إدارة البحوث والدراسات الاقتصادية مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية. مقدمة إلى المؤتمر السعودي الثاني للتطوع في الفترة. صفر 1422هـ الموافق مايو 2001م

[2] انظر موقع المؤسسة على الشبكة: mbrch.gov.ae

[3] ندوة تجارب الوقف ببلدان المغرب العربي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1999.

[4] مجلة الإحياء - ص38.مرجع سابق.

بعدٌ إنساني وحضاري عرفته الحضارة الإسلامية، وما زالت بعض جهات الخير بالبلاد الاسلامية تواكب هذا التاريخ من خلال ما تقدمه من خدمات تطوعية كاستصلاح الأراضي الزراعية وحفر الآبار، وتوفير المواد الزراعية (أسمدة – كيماويات – شتلات)[1]، مؤازرة ودعما لهذا المجال، وهي بذلك تحقق تنمية اقتصادية من خلال خلق فرص حقيقة لعمل، والمساهمة في الحد من ظاهرة الهجرة القروية التي تؤثر على الاقتصاد الفلاحي بشكل كبير.

كما يبرز الدور الاقتصادي للعمل الخيري، من خلال ما يفتح من أسواق ترتبط بالمنتوجات الفلاحية للأراضي الوقفية أو الأراضي التي تقدم في إطار عمل إنساني خيري وكذا المساعدات المرتبطة بهذا المجال، حيث تتعدد هذه الأسواق وتتنوع بتعدد وتنوع هذه المنتجات، وتسهم في خلق تنافسية حقيقية تتبلور في إطار "تقوية الاقتصاد الوطني" .

ب – دور العمل الخيري في تنمية المجال الصناعي: يساهم العمل الخيري في تنمية الصناعات المختلفة وخاصة التقليدية منها من خلال الأوقاف التي خصّص ريعها لتدريب العمال على أنواع المهارات الفنية والخبرات اليدوية التي ترفع من كفاءتهم الإنتاجية، ويتبلور مفهوم التنمية الصناعية على أرض الواقع من خلال المحلات الوقفية التي تكرى للصناع بثمن زهيد بقصد مساعدة الصانع على الابتكار والإبداع، وهو في نفس الوقت إسهام من العمل الخيري في المجال الصناعي، خاصة إذا اتجهنا ناحية الصناعة التقليدية والتي تحتاج في إنتاجها إلى وقت طويل وإلى صناع أكثر[2].

وتتوفر بعض المدن بالمغرب مثلا، وخاصة العتيقة منها كفاس على أكبر نسبة من المحلات و(الفنادق) الموقوفة والمكراة بثمن رمزي للصناع فقط، ونذكر منها بعض الأمثلة: فندق الهيادريين بالمدينة القديمة، وهذا (الفندق) خاص بصناعة الأحذية الرجالية والنسائية، وطراز (دراز) برحبة الزبيب مخصّص لصناعة الأواني النحاسية، وطراز بالرصيف خاص بالأحذية النسائية وبيع المواد الاستهلاكية الصناعية، وطراز بواد عبود وطراز بالياسمينة وهما خاصان لصناعة الزرابي، وطراز بجزام بن عامر خاص بصناعات مختلفة، هذا

[1] دور القطاع الخاص في العمل التطوعي. ص8. إعداد: إدارة البحوث والدراسات الاقتصادية مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية. مقدمة إلى المؤتمر السعودي الثاني للتطوع في الفترة. صفر 1422هـ الموافق مايو 2001م

[2] انظر بحث: دور الوقف في التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالمغرب. ص54. بحث ميداني مقدم لكلية الشريعة بفاس من الباحث لنيل الإجازة العليا في الشريعة سنة 2000.

فضلا عن وجود (معاصير) لصنع الزيوت كمعصرة درب العامر، ودور للسلع، وأهراء خاصة بمنتوجات الحبوب[1].

ومن خلال ذكر هذه الأمثلة تظهر مقومات الوقف في الجانب الصناعي، ومساهمته الفاعلة في هذا المجال، وهي التي شكلت دافعا لبعض الأقلام البحثية بالأردن لتوجيه انتقاد للعمل الخيري بضرورة العناية بهذا المجال، حيث بيّنت أهمية "الاستثمار في المجال الصناعي الذي يستوعب أعدادا ضخمة من الأيدي العاملة قليلة التعليم والخبرة"[2]، وهي الرؤية التي ينبغي أن يتحلى بها العمل الخيري في جميع البلاد الإسلامية، وأن يستفيد من التجارب الوقفية والتطوعية التي ميزت بعض الدول، وطوّرت من منظومتها الصناعية مما أثر بشكل كبير في التنمية الاقتصادية.

ج – دور العمل الخيري في تنمية المجال التجاري: يساهم الوقف في تشجيع القطاع التجاري من خلال اهتمامه بتوفير السوق الداخلية وفتحها والتي هي مجال تصريف المنتجات والمكان المناسب للتعرف على طلب المشترين وإمكانات المنتجين، بل وتشجيع مجالات الإنتاج كمّا ونوعا، ونذكر من بين هذه الأسواق، تلك التي يفتحها القطاع الفلاحي، من خلال عرض المنتوج الفلاحي كل سنة في سوق قريب من منطقة للحصول عن طريق البيع بالمزاد العلني، ومعلوم أن هذا المحصول هو منتوج الأراضي الوقفية الموجودة بكثرة، لذلك تتعدد الأسواق التي تباع فيها المحاصيل[3].

وقد عمل العمل الخيري المرتبط بالوقف الإسلامي على توفير الهياكل العامة اللازمة لإقامة هذه الأسواق، إلى جانب العديد من مظاهر الخدمات والتسهيلات، ومن ذلك إقامة الدكاكين للتجارة من كل صنف، ترتبط بالمسجد، حيث أصبح التصميم المعماري للمسجد لابدَّ أن يراعى فيه وجود محلات تجارية وقفية يستعان بها على تسيير المسجد والقائمين عليه كباب من أبواب النفقة التطوعية الدائمة والمستمرة.

وهذه الرؤية، تأصّلت في المشاريع الخيرية الحديثة، حيث بادرت العديد من الجمعيات الخيرية، إلى فتح باب التبرعات لإنجاز دكاكين ومحلات تجارية لمساعدة المحتاجين على إيجاد فرصة للعمل، والمساهمة في نفس الوقت في خلق ديناميكية تجارية بالأحياء والمدن التي تعرف هذه المحلات، وبالتالي تتداخل مجموعة

---

[1] نفس المرجع.

[2] مقال: إصلاح العمل الخير في الأردن. غازي جبر زايد. منشور بوكالة زاد الأردن الإخبارية. بدون تاريخ موقع: jordanzad.com

[3] انظر كتاب البعد المقاصدي للوقف بالمغرب. الباحث. ص66. مرجع سابق.

من المعطيات المرتبطة بالتنمية الاقتصادية: محاربة الفقر والتسول، خلق فرص للعمل، حركية تجارية، رأسمال متحرك، رواج اقتصادي، واستثمار مبني على الطلب في مجال الصناعات الغذائية.

المحور الرابع: دور العمل الخيري في تثمين الموارد البشرية ومعالجة الظواهر المُضعِفة للاقتصاد

لا يخفى ما للعمل الخيري من إسهام فعلي في خلق فرص مهمة للعمل، ترتبط بالقطاعات الأساسية، وبتطوير البنية التحتية، ويمكِّن أيضا من معالجة الظواهر السلبية التي تضعف الاستفادة من الموارد البشرية كظاهرتي التسول والإجرام، مما يؤثر بشكل كبير على تحقيق التنمية الاقتصادية المنشودة.

أولا: دور العمل الخيري في تثمين الموارد البشرية وخلق فرص الشغل: حضور الكوادر البشرية أمر اساسي في العمل التطوعي الخيري، سواء تعلق الأمر بالطاقات المستخدمة في العمل التطوعي أو المستفيدة منه على حد سواء.

ذلك أن الكثير من الهيئات والمؤسسات والجمعيات تستفيد من الأطر البشرية التي تعمل في مجال العمل التطوعي، حيث يتم توظيف العديد من التقنيين والفنيين والمختصين للاستفادة من تخصصاتهم في مجالات تدخل هذه المؤسسات المرتبطة بالعمل الخيري، دون إغفال الدور الذي تقوم به هذه الكوادر في إطار تطوعي لا يرتبط بعمل دائم ومستقر، فالعمل الخيري "يجمع هذه الطاقات ويسخرها لخدمة البناء والتنمية الاقتصادية من خلال المؤسسات والمنظمات والهيئات الخيرية"[1]، فهي المنطلق والأساس لأيّ مشروع خيري منظم وهادف ومؤسس، فتنوع هذه المؤسسات وتطور عملها يرتبط بمدى توظيفها للمختصين وخلق المناخ الملائم، وتوفير الوسائل والآليات اللازمة لتحقيق الأهداف المنشودة، فالعمل الخيري يقوم بدور كبير في التنمية بالاستفادة من الموارد البشرية، "حيث يلعب العمل الخيري دوراً إيجابياً في إتاحة الفرصة لكافة أفراد المجتمع للمساهمة في عمليات البناء الاجتماعي والاقتصادي اللازمة في كل زمان ومكان ويساعد العمل التطوعي على تنمية الإحساس بالمسؤولية لدى المشاركين ويشعرهم بقدرتهم على العطاء وتقديم الخبرة والنصيحة في المجال الذي يتميزون فيه"[2].

أما الجانب الآخر في العمل الخيري، فهو المرتبط أساسا بما يوفِّره من وظائف وأعمال ومهن فلاحية، صناعية وتجارية: دائمة ومؤقتة؛ دائمة تفتحها المشاريع الخيرية التي تعتني باقتناء وسائل العمل كالآلات

[1] مرجع سابق، العمل الخيري الإماراتي، قيمة إنسانية وعطاء بلا حدود.
[2] مرجع سابق.

الصناعية الخاصة، وحفر الآبار المرتبطة بالزراعة، شراء وتجهيز دكاكين ومحلات تجارية، خلق أسواق بمهن وحرف خاصة، ومؤقتة كالتي تفتحها أسواق تصريف المنتجات الفلاحية بمناسبة بيع غلالها، أو المرتبطة ببعض الحرف الموسمية.

وبذلك، يتضح الدور الكبير الذي يقدمه العمل الخيري في محاربة البطالة، التي تؤثر على التنمية الاقتصادية للمجتمع، بما ترتبه من نتائج مخيفة اقتصاديا واجتماعيا، "ففي الوقت الذي تعبر فيه عن هدر لموارد اقتصادية هامة ممثلة بالطاقات البشرية المعطلة، فإنها تنعكس سلبا على المجتمع من خلال زيادة الجرائم والاعتداءات اليومية وبالذات جرائم السطو المسلح والتفكك الأسري والانفصال وشيوع الأمراض النفسية والعصبية لدى المتعطلين عن العمل"[1]، فكل ذلك يعمل على زيادة مستويات الإنفاق الحكومي على الأمن، مما يثقل كاهل الموازنة العامة[2]، ويؤثر سلبا على التطور الاقتصادي المنشود.

إنَّ تطوير العمل الخيري، من خلال التركيز على الجانب الوظيفي في العمل، بإنشاء مقاولات خاصة ومشاريع صناعية من شأنه إفادة المجتمع اقتصاديا بخلق فرص مستقبلية للشغل دائمة وقابلة للإنشاء يفرضها تطور المقاولة وحاجتها لموارد بشرية جديدة.

ثانيا: دور العمل الخيري في معالجة ظاهرتي التسول والإجرام: يتدخل العمل الخيري بشكل جلي في معالجة الكثير من الظواهر التي تؤثر على التنمية الاقتصادية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، ومن هذه الظواهر:

أ – دور العمل الخيري في معالجة ظاهرة التسول: ظاهرة التسول ليس حبيسة مجتمع معين، بل هي ظاهرة عامة في كثير من البلاد الإسلامية، حيث تلقي بظلالها على الاقتصاد وتؤثر فيه سلبا بشكل كبير، فمن الناحية الاقتصادية "يترتب على التسول تجميع أموال ضخمة وتركيزها في يد فئة جاهلة غير واعية، يتم تهريب جزء كبير منها إلى خارج البلاد"[3]، وفي دراسة ميدانية بالمملكة العربية السعودية سنة ٢٠٠٨ مثلا، "قدر عدد المتسولين بأكثر من ١٥٠ ألف متسول، وأن حجم الإنفاق السنوي على هؤلاء المتسولين أكثر من ٧٠٠ مليون ريال، وحسب دراسات اقتصادية فإن تحويلات العمالة الرسمية، أي التي لديها إقامة

[1] دور العمل الخيري في تعزيز الاستقرار الاقتصادي. ص 18. مرجع سابق.
[2] دور العمل الخيري. ص19 مرجع سابق.
[3] أسباب ظاهرة التسول وآثارها الاقتصادية. د. محمد عرفة. نشر بموقع الاقتصادية. بتاريخ 1 ماي 2009. موقع: aleqt.com

وتعمل في المؤسسات، تقدر بنحو ٢٠ مليار دولار"[1]، وفي بعض الدول الإسلامية الأخرى، أطلقت حملات شاملة للتوعية بالأضرار الاقتصادية للتسول، فكثير من المتسولين أصبح لهم مدخول مالي مهم ولا تستفيد الدولة من الأموال التي يتحصلون عليها، فلا يؤدون الضرائب ولا يقدمون خدمات مقابل ما يستفيدون منه من أموال تقع بين أيديهم حيث تصبح مكدسة ومكتنزة في غالب الأحيان، فضلا عن العطالة التي يعكسها تواجدهم بالشارع، وهذا يؤثر على التنمية الاقتصادية لأي بلد.

لذلك، فإن تدخل العمل الخيري لمعالجة هذه الظاهرة له إيجابيات مهمة وفاعلة في التنمية، فأي مشروع يعمل على إصلاح هذه الوضعية الشاذة ويعالجها هو في الأصل مشروع مجتمعي، لأنه المستفيد من خدماتهم، حتى لا تظل اليد العاملة المتواكلة معطلة بسبب التسول، فضلا على أن إطعام الطعام وكسوة الأيتام والمحتاجين ورعاية العجزة وذوي الاحتياجات الخاصة، وبناء مراكز للإيواء ودور للحضانة الخاصة بالأطفال المتخلَّى عنهم هو جوهر تدخل العمل الخيري وبالتالي لا تتبقّى أي حاجة للتسول، فنظرة في المشاريع التي تنجز على مستوى الدول التي تعرف حركية في مجال العمل الخيري المنظّم، ناهيك عن ما يقوم به الوقف الإسلامي في سبيل معالجة هذه الظاهرة، ففي تطوان المغربية يوجد ملجأ للمنقطعين والعجزة، يعتني بالعجزة والمنقطعين ممن لا يتوفرون على أسر يلجؤون إليهم، فيلجأون إلى هذا الملجأ للإيواء والمبيت، حيث توزع ٦٠٠ خبزة يوميا على ٣١١ مستفيدا من الفقراء، أي ما يعادل ٣٠٠ وجبة غذائية[2]، تحقيقا لإرادة المحسنين، في إظهار نوع من الكمال لإحسانهم في العناية بالمنقطعين، ومساهمة من العمل الخيري في معالجة الظواهر السلبية خدمة للتنمية الاقتصادية.

ب – دور العمل الخيري في مكافحة الجريمة وتأهيل السجناء: تركَّزت جهود المؤسسات والمحسنين ناحية ظاهرة الإجرام لما لوحظ من تأثير سلبي لهذه الظاهرة على المجتمع، مما قد يعوق تقدمه وتطوره، أو يشكل عائقا امام فتح فرص جديدة للاستثمار، فلا يعقل أن تتم إيجاد فرص حقيقية للاستثمار في ظل غياب الأمن والسمعة السيئة بانتشار الجريمة.

لذلك، كان من مقاصد العمل الخيري، حفظ المجتمع من انتشار أسباب الجريمة التي يوجبها الاضطرار والحاجة، "فالتصدق بالطعام يسد جوعة الإنسان فيستغني بذلك عن أن يخرج على الناس بسيفه، ويأمن

[1] نفس المرجع.
[2] نشرة منجزات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لسنة 2009.مرجع سابق.

الناس غائلته بسرقة أو اختلاس أو نحو ذلك؛ لأنه قد يرى نفسه مضطراً تباح له الميتة، فإذا وجد ما يسد رمقه من عطاء الناس لم يجز له ذلك، وعند ذلك سيقوم ليؤدي وظيفته في المجتمع كسبًا وعملاً"[1].

وقد استهدفت بعض الحملات الخيرية في الكثير من البلاد الإسلامية هذا الجانب، حيث مكنت من استفادة السجناء المعسرين من إطلاق سراحهم ليبدؤوا حياة جديدة كلها أمل وتفاؤل في غد أفضل بعيد عن الإجرام والعقوبة والسجن الذي يعطّل الاستفادة من هذه الموارد البشرية، من خلال دعم مادي يخول دفع الديون المتسببة في سجنهم أو دفع الكفالة المترتبة عن سجنهم.

وإلى جانب الدعم المادي، نجد بعض المؤسسات الخيرية ركزت جهودها في العمل الإغاثي والدعوي، من حيث تقديم المساعدات للمحتاجين ودعم بعض البرامج الدعوية لبعض الجهات الإصلاحية كالسجون[2]، فيقومون بتوعية السجناء وإكسابهم الأخلاق الحميدة، وإعانتهم على حفظ القرآن الكريم من خلال متطوعين يلازمونهم[3].

فهذا التدخل المادي والمعنوي يسهم في إعادة تأهيل وإصلاح نزلاء المؤسسات السجنية، حتى يصبحوا مواطنين صالحين يستفيد منهم المجتمع، ويقدموا خدمات اجتماعية تحقق أبعادا اقتصادية، باعتبارهم كوادر بشرية معطلة داخل أسوار السجن، ولما يشكله الإجرام وغياب الأمن عموما من إضعاف للاقتصاد.

ختاما،

إن البحثَ في دور العمل الخيري في تنمية الاقتصاد، بحثٌ في أسسٍ تنزيلية، تستشرف مستقبلا متميزا يقوم فيه العمل الخيري بدور فعال ومهم، فللعمل الخيري أهداف ومزايا كبيرة سواء على مستوى الفرد أو الجماعة.

---

[1] أثر العمل الخيري في تنمية الاقتصاد الإسلامي. مرجع سابق.

[2] العمل الخيري السعودي: آمال وتطلعات، عقيل عبد العزيز العقيل، مرجع سابق.

[3] كجمعية دار البر الخيرية بالإمارات التي تقوم بتوفير العلماء والمحفظين لبرنامج الوعظ والإرشاد لنزلاء السجن المركزي وأقسام النساء والجنح والمخالفات والأحداث عبر برنامج الوعظ المعد لهم مع برنامج حفظ القرآن والتلاوة مع التجويد إضافة إلى حفظ المتون العلمية من السنة النبوية، كما تقوم بدعم المؤسسات العقابية وتتعاون معها في كل من دبي وعجمان وذلك بتوفيرها الكتب الدينية اللازمة للنزلاء بلغاتهم مع نسخ مصحف دار البر وترجمات معاني القرآن الكريم، كما أنها توفر الدعاة والعلماء والمحفظين والكتب المترجمة للمسلمين الجدد منهم والذين يشهرون إسلامهم بالمؤسسات العقابية وذلك بالتعاون مع مركز المعلومات الإسلامي التابع لدار البر ووفق برنامجه وبالتنسيق مع دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي. انظر، مقال: دار البر تعلن عن 9 مشاريع خيرية خارج الدولة تحتاج إلى تمويل. دبي البيان 09 شتنبر 2011. موقع: albayan.ae

وقد حاولت من خلال هذه الدراسة توضيح أهمّية العمل الخيري في الجانب الاقتصادي عموما، ببيان الإسهام الفعلي للعمل الخيري في تعزيز وتطوير الاقتصاد سواء تعلق الأمر بالموارد البشرية أو بالوسائل والآليات العمَلية الإنتاجية التي تحقِّق مستوى معينا من الاستقرار الاقتصادي، وبالتالي تحفيز الناس على المبادرة والإسراع إلى تأسيس أعمال خيرية تأسّيا بما يحققه الواقع، خاصّة أني لم أقف على دراسة تعتني بالتأصيل التنزيلي المرتبط بما يتحقّق على مستوى الواقع، بمقارباته المختلفة بين الدول الإسلامية.

توصيات البحث:

تناول البحث بالتأصيل والبناء إسهامات العمل الخيري وتجاربه الواقعية بعدد من الدول الإسلامية في تحقيق التنمية الاقتصادية، انطلاقا من تدخلات اجتماعية إنسانية، لذلك يقف الباحث في خاتمة الدراسة على مجموعة من التوصيات، منها:

– تعميم بعض التجارب الخيرية التي حقّقت مساهمات مهمة في تطوير الاقتصاد، وخاصة المشاريع المرتبطة بخلق فرص عمل للشباب باعتباره قاطرة للتنمية الاقتصادية.

– تقديم الدعم اللازم والمواكبة للمشاريع الخيرية التي تروم تطوير الاقتصاد، سواء تقديم دعم مباشر للجمعيات والمؤسسات الخيرية أو تقديم إعفاءات ضريبية سواء كانوا أفرادا أو شركات.

– توجيه العمل الخيري وتنظيمه بما يكفل تحقيق الاستقرار الاقتصادي، بعدما تبين أهميته وأثره على الاقتصاد عموما.

– تطوير القوانين والتشريعات المرتبطة بالعمل الخيري، بما ييسر من طرق الاستفادة الدائمة من هذا العمل، ضمانا للتنمية الاقتصادية المنشودة.

– عرض قيم العمل الخيري للناشئة، وتوضيح الصور الإيجابية والخدمات الاجتماعية والاقتصادية التي يسهم فيها هذا العمل، ضمانا لاستمراريته في العطاء.

المصادر والمراجع:

- الأوقاف في تركيا، سهيل صبان، نشر بمجلة الفيصل، عدد 332،صفر 1425هـ/ أبريل 2004.
- البعد المقاصدي للوقف، عبد الكريم بناني، ص ٢٥ وما بعدها، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 2014.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، د.ت.
- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.
- تفسير ابن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار طيبة، 1422هـ/2002.
- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، د.ت.
- جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، عبد الهادي التازي، دار الكتاب اللبناني بيروت 1973م.

- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردونيو إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، ط 2 1384/هـ/1964م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، القاضي المكناسي. دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط. د. ت.
- جريد الاتحاد الإماراتية، تاريخ النشر 21 أبريل 2017، موقع الجريدة على الشبكة: alittihad.ae
- جريدة الاقتصادية، موقع aleqt.com، تاريخ النشر: 3 أكتوبر 2017.
- جريدة الحياة السعودية، تاريخ النشر 9 فبراير 2018. موقع جريدة الحياة على الشبكة: alhayat.com
- جريدة الرياض السعودية، العدد 15215، موقع الجريدة على الشبكة: alriyadh.com، تاريخ النشر: 5 ربيع الأول 1431هـ/19
- جريدة الرياض، العدد 15726، الجمعة 14 شعبان 1432هـ/15 يوليوز 2011.
- حفظ النفس مقصد أساسي للشريعة الإسلامية: عطاء حضارتنا في علاج المرضى ليس له مثيل، مقال علمي على الشبكة، نشر بتاريخ: 14 غشت 2011، موقع: alkhaleej.ae
- حفظ النفس، عبد الله عبد المؤمن، نشر في جريدة ميثاق الرابطة(تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب) بتاريخ: 11/02/2011، موقعها على الشبكة: mithaqarrabita.ma
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.
- الحملات الخيرية السعودية نموذج لتربية المسلمين على العطاء، منشوربتاريخ: 1 يناير 1970– 23 شوال 1389 هـ، بموقع: medadcenter.com
- الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبوزكريا المازوني، المكتبة الوطنية. الجزائر. د. ت.
- شرح نيل المنى في نظم الموافقات للشاطبي، أبي بكر محمد بن عاصم الغرناطي، أبي الطيب مولود السريري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، د. ت.
- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة، د. ت.
- العمل التطوعي وعلاقته بمقاصد الشريعة، مصطفى بوهبوه، نشر على شبكة ضياء بتاريخ: ٢ دجنبر ٢٠١٧، موقع ضياء على الشبكة: diae.net
- العمل الخيري السعودي: آمال وتطلعات، عقيل عبد العزيز العقيل، بحث مقدم لندوة المؤسسات الخيرية، ونشر بموقع صيد الفوائد: saaid.net، د. ت.
- العمل الخيري في ضوء القواعد المقاصدية. تمام العساف ومحمد أبو يحي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية،المجلد الثامن، العدد الثالث، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٢ م.
- العمل الخيري، مفهومه وموقعه من مقاصد الشريعة. ابراهيم البيومي غانم. مجلة حراء العدد ١٤، تاريخ النشر: ٢٢ فبراير ٢٠١٧، موقع المجلة على الشبكة: hiragate.com
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٨١.
- فقه السنة، السيد سابق، ط ٤ / دار الفكر بيروت ١٩٨٣.
- القاموس المحيط. الفيروز آبادي. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٧٩م.
- قاموس المصطلحات الاقتصادية، محمد عمارة، القاهرة دار الشروق، د. ت.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ط ١. ط ٢. ط ٣. دار صادر. بيروت. لبنان. 2000م. 2003م. 2004م.
- المبدع في شرح المقنع، أبو إسحاق برهان الدين بن محمد بن عبد الله الحنبلي. المكتب الإسلامي، 1421هـ – 2000.
- مجلة الإحياء (كانت تصدرها رابطة علماء المغرب)، العدد 22 – يوليوز 1997.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي. مكتبة المقدسي، 1414هـ/1994م.
- المجموع شرح المهذب، يحي بن شرف النووي، 5/244، مطبعة المنبرية،د. ت.

- المستصفى من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير،ط.2. كلية الشريعة. المدينة المنورة. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1403هـ/1983م.
- المصطلح الأصولي عند الشاطبي. فريد الأنصاري. معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العلمي للفكر الإسلامي. ط.1. 1424هـ/2004م.
- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد المعروف بالطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد سلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2/ د.ت.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، راجعه وقدم له وائل أحمد عبد الرحمن.المكتبة التوفيقية. القاهرة. مصر.
- مقاصد الشريعة الإسلامية محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، ط 2001 – 1421/2.
- مقاصد الشريعة الخاصة بالتبرعات والعمل الخيري، عز الدين بن زغيبة، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث "دبي"، 20 – 22 يناير 2008.
- مقاصد الشريعة من خلال القواعد الأصولية، ناصر السيد درويش، بحث مقدم لندوة تطور العلوم الفقهية في عمان خلال القرن الرابع الهجري "القواعد الشرعية نموذجا"، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.
- المقاصد العامة، يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1991/1.
- من الكليات الخمس، حفظ النفس، محمد عبد رب النبي، مقال علمي نشر بموقع منارات على الشبكة، بتاريخ: 21 مارس 2015،manaratweb.com
- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية. لبنان. ط ١ /1422 هـ – ٢٠٠١م.
- موقع عربيSPUTNIK على الشبكة: : arabic.sputniknews.com، تاريخ النشر: 16 مارس 2018.
- موقع السودان اليوم على الشبكة: alsudanalyoum.com، تاريخ النشر: 15 نونبر 2016.
- موقع العربية نت على الشبكة: alarabiya.net،تاريخ النشر: الأحد 5 رجب 1438 هـ 02 – أبريل 2017.
- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تقديم ماجد فخري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985.
- ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي – السعيد بوركبة، بغداد 1983.
- نشرة منجزات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لسنة 2009. مطبعة فضالة المحمدية،د.ت.
- نظرية حفظ الكليات من جانبي الوجود والعدم في الواقع المعاصر: دراسة مقاصدية، الحسان شهيد، مجلة الإحياء (تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء)، نشر بموقع المجلة على الشبكة، بتاريخ: د.ت. alihyaa.ma
- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث، ط ١ /1413هـ 1993.
- الوقف الإسلامي. من روائع حضارتنا. حسام العيسوي إبراهيم، نشر بتاريخ: 29 مايو 2011، بموقع: feker.net
- الوقف الخيري في الإسلام وأبعاده التنوية، السعيد بوركبة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ط 2010/1.